

خطاب صاحب الجلالة

بمناسبة الذكرى الثالثة والثلاثين لمولد جلالته

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

شعبنا الوفي:

معشر الشباب:

ها نحن نلتقي هذه السنة في هذه المدينة المكافحة، لنحتفل بالشباب، ونتعرف على نشاطه ونطلع على المراحل التي قطعها نحو الأهداف التي رسمناها له، ونتحدث إليه عن الأدوار العظيمة التي ننتظر قيامه بها لبناء الوطن وتجديده وإحياء أمجاده وبعث مفاخره، ومن حسن الصدف أن يقترن عيد الشباب في هذا العام بالأفراح والمسرات التي تشهدها الآن أقطار مغربنا الكبير بمناسبة استقلال الجزائر العزيزة وتحررها وإحرازها سيادتها الكاملة، وإنها لأفراح ومسرات لنا جميعا غمرت قلوبنا بقدر ما غمرت قلوب الجزائريين، وقلوب العرب والمسلمين، وحماة الحرية في كل مكان، إن هذا الحادث التاريخي المجيد يتوج بالنصر المبين النضال الذي خاضته شعوب المغرب العربي منذ سنة 1830، ويضع حدا للمآسي والفجائع التي لم تفتأ تعيش فيها منذ ذلك التاريخ، فالآن بدأت معركة التشييد والتجديد التي سيكون فيها أيضا لشبابنا النصيب الأوفر والحظ الأوفى، والتي سيجدون فيها أفسح المجالات للعمل والابداع والخلق والابتكار وإرضاء الطموح.

شعبنا الوفي، معشر الشباب:

إن على الشباب مسؤوليات متنوعة تعظم تارة وتصغر أخرى، وقد تفرض عليه الظروف أن يتحمل كبيرها وصغيرها في آن واحد، ويعمل في ميادينها جميعا، فكما أن الشباب مطالب بالعمل لمصلحة وطنه الكبير وتحقيق الأهداف القومية الكبرى يطالب بالعمل لخير مدينته وقريته، ولتحقيق الأهداف الصغيرة والقريبة، إذ من مجموع الأعمال المحلية والاقليمية يتكون البناء الكبير ويتحقق الانسجام في الأمة وتقل الفروق أو تختفي بالمرة.

وهذا من جملة الأسباب التي حدتنا في السنة الماضية الى ابتكار الطريقة التي أسميناها الانعاش الوطني والتي نستهدف من ورائها تجديد الوطن وتطويره وتوسيع نطاق الأعمال العمرانية والانشائية في جميع أقاليمه، بل في كل مدينة من مدنه وقرية من قراه، وإيجاد الميادين التي تتفجر فيها الطاقات الكامنة في نفوس الشباب وتستغل في أعمال الاحياء والتجديد والانعاش.

إن من الجناية على الشباب بل من الخطر على أمة من الأمم أن تبقى مواهب أبنائها مكبوتة لا تقدر على الظهور، وسواعدهم عاطلة لا تجد سبيلا الى العمل. وأمة يكون شبابها هكذا محكوم عليها بالخمول والبقاء على الهامش في هذا العصر الذي لا مجال فيه للعيش السعيد إلا للعاملين المجدين، ولقد صدقت ظنوننا فيما أملناه في شبابنا لحركة الانعاش الوطني هذه فقد غرسوا ملايين الأشجار واستصلحوا آلاف الهكتارات، وفتحوا طرقا عديدة، وحفروا الآبار ومدوا السواقي، وبنوا مدارس ومؤسسات اجتماعية كثيرة، بالاضافة الى نشاطهم المعتاد



الذي يقومون به في نطاق الأندية والجمعيات الثقافية والرياضية والفنية، ذلك النشاط الذي برهنوا به عن مقدرة فائقة، وذوق رفيع، وطموح متزايد الى الرفعة والكمال.

إن الكثيرين يتحدثون عن الشروط اللازمة لقيام الشبان بأدوارهم وحملهم لمسؤولياتهم على أحسن حال، مطيلين النفس على الخصوص في السلامة الجسمية وأهميتها، ولكن السلامة الروحية والفكرية هي أهم في نظرنا وأخطر، لأنها هي التي تغمر قلوب الشبان إيمانا وطمأنينة، وتحول دون تسرب الارتياب والحيرة والقنط إليها، وتجعلهم يتبينون حقائق الأشياء، حتى إذا فعلوا شيئا أو تركوه، صدروا في الفعل والترك عن بينة واقتناع. إن العصر الذي نعيش فيه يتسم بسمة العلم والثقافة، وقد أدبرت العهود التي كان الأفراد والجماعات البشرية تساق فيها سوقا الى القيام بأعمال لا تدرى فائدتها، أو تجبر إجبارا على التشيع لمذاهب، والانتصار لمعتقدات لا تدرك كنهها، إن انتشار الثقافة قرب من الحقيقة أغلب البشر، كما أن التطور السياسي للمجموعة البشرية رفع مستوى أفرادها في أكثرية بلدان العالم فجعلهم أحرارا رشداء يشاركون بطريقة أو بأخرى في تخطيط السياسات وتنفيذها، فمن الواجب على كل أمة تهتم بمستقبلها أن تهتم بتكوين ناشئتها جسميا وروحيا وفكريا في آن واحد، لأنهم رجال الغد وعمدة المستقبل وكيفما كانوا في حاضرهم يكونون في مستقبلهم استقامة أو اعوجاجا، وليس على الذين يريدون مطالعة الغد إلا أن ينظروا صورته في مرآتهم الصقيلة، فإنها مرآة أمينة لا تعكس إلا الحقيقة، ونحن لشدة اقتناعنا بهذا لا نالوا جهدا ولا نذخر وسعا لاعداد شبابنا للغد، وجعلهم في مستوى الآمال التي نعلقها عليهم وتعلقها عليهم البلاد بما نفتح من مدارس ومعاهد وكليات، ونيسر من أسباب العلم والثقافة، ونفسح من مجالات متنوعة للنشاط خليقة أن تنمي ملكاتهم، وتزكي مواهبهم، وتعودهم على التفكير الجيد، والرأي الصائب والعمل المفيد، وتجنبهم المزالق والمنحدرات المشبوهة التي تعقم الفكر وتقتل المواهب وتفضي الى الحيرة والارتياب.

وتجدر الاشارة في هذا الصدد الى ما يتردد على الألسنة بكثرة في هذه السنين من أن أفكار شبابنا أخذت تتجه نحو مبادىء ومذاهب غريبة مستوردة من الخارج، وليست من الشخصية المغربية في شيء، ولسنا متشائمين من هذا الأمر إن صح، ولا قلقين ما دام الشباب إنما يقوم بجولات استطلاعية للتعرف على المذاهب والمناهج يؤوب بعدها الى مبادئه الأصلية استجابة لداعي عبقرية بلاده وانجذابا نحو شخصيتها، إن هيام الفكر وولوعه بالبحث عن المجهول هو أنجع وسيلة للعثور على الحقيقة، ولنا كامل اليقين بأن شخصية المغرب وعبقريته ومقوماته لابد وأن تجذب إليها شبابنا في الأخير، ولا تتركه في متاهة ولو طال تجواله بفكره وبصيرته وروحه النقادة، فيعود الى وطنه ليعيش في واقعه، ويحفظ كيانه قحا خالصا وينمي شخصيته بالمقتنيات والمكاسب التي حصل عليها وهو يبحث عن الحقيقة، وينشد الفضيلة، ويلبي داعي الطموح.

ومما يسهل اندماج شبابنا في بيئته الأصلية ويربطه بالمجموعة الوطنية مهما بلغ رفيع الدرجات ثقافة وتفكيرا هو استمساكه بالفضيلة التي إن فرط في شيء فهو فيها غير مفرط، بل هو تشبثه بالدين الاسلامي الحنيف الذي فتح عينه عليه ولقن مبادئه في صباه الباكر، فهذا الدين بما تضمنه من معتقدات صحيحة وعبادات نقية خالصة تحرر الفرد والجماعة، ومعاملات ترعى الحقوق والواجبات، وتقيم التعامل والتعايش بين الناس على أساس من الحق والعدل وبما ضمن من مصالح ودرأ من مفاسد وحد من حدود، كفيل أن يعيد الى الصواب كل من ضل عنه، ويجعل الفرد عضوا صالحا في جماعة صالحة، يزداد تعامله وإياها حسنا كلما ازداد يقينا بربه، وتقربا منه بضروب العبادات وأفانين الطاعات.

إننا إذا دعونا شبابنا الى العمل الدائب المتقن فلا ندعوهم إسداء لنصيحة وتزجية لوصية فقط، بل لاعتقادنا أيضا أن حسن المواطنة وسداد التفكير يفرضان على كل مواطن أن يتعلم من مدرسة الحياة، لأن التجارب وحدها هي القادرة على أن تجعل شبان اليوم رجالا واعين ناضجين إذا بلغوا طور الكهولة، يعملون عن تبصر ووعي وإدراك، لا عن ضمير مهني فقط، إن الثقافة وحدها لا تفيد إذا لم تكن مبنية على ممارسة سابقة للشؤون العامة، وإذا لم تتعزز بتجارب وأحيانا بمغامرات تجعل التفكير في مستوى الواقع والامكان، وتحفز كل ذي مسؤولية الى أن ينجز أعماله انجازا متقنا كفيلا بإيجاد الوسائل التي تحقق المطامح كلها، ولابد في هذا كله من ثقوب ذهن وحيوية ضمير، لأن الضمير الواعي الحي الذي لا ينكبت ولا يذوب في غيره هو الذي يقدح زناد الابتكار ويجعله نافعا مجديا.

لقد عاش المغرب في حالة تجنيد مستمر طيلة ثلاثة عشر قرنا دفاعا عن كيانه ومحافظة على شخصيته، وإن بواعث هذه التعبئة ودواعيها ما زالت الآن قائمة، فليست الأخطار التي تتعرض لها بلادنا اليوم دون أخطار الرومان ومسيحية القرون الوسطى والاشراك التي تعرضت لها بالأمس، ولكن الكيان المغربي استعصى في كل وقت وحين على من حاول النيل منه، وبقي محفوظا، بل كان الصخرة التي تتكسر عليها مطامع الطامعين، واعتداءات المعتدين، ونحن نعتقد أن جيلنا الحاضر لم يفقد خصائص أسلافه، ولكنه محافظ عليها معتز بها، لأنه قد من نبعة أولئك الأسلاف، وورثهم سلاليا كما ورثهم فكريا، وهو يحس تحت تأثير هذه الخصائص باستعداد عظيم لحماية الشخصية المغربية ورعاية الحرية الجماعية والكرامة الفردية، كما يحس برغبة قوية في إرسال إشعاعاته الفكرية والحضارية على ما حوله من آفاق مثلما فعل أجداده، ويدرك إدراكا متبصرا واعيا مسؤولياته المغربية والافريقية والعالمية أيضا.

فعلى شبابنا أن يزدادوا تبصرا ووعيا للأدوار العظيمة التي ننتظر قيامهم بها سواء في المجال المحلي الضيق أو في الميادين المغربية العربية الافريقية الفسيحة، وعليهم أن يعدوا أنفسهم من الآن ويروضوها للقيام بهذه الأدوار متشبثين بالقيم الروحية ومعتزين بالمقومات الوطنية، ومتسلحين بكل ما تفرض روح العصر التسلح به من عدد مادية وخلقية، فإنه لا خير فيمن أخذ بإحداها وغفل عن الأخرى، وخليق بمن فعل ذلك أن يفشل وتذهب ريحه.

نسأل الله أن يوفق شبابنا الناهض، ويسدد خطاه ويسبغ عليه أردية الصحة ويعزز جانبه بالعلم والثقافة والفضيلة، ويعيننا جميعا على إحياء مجد وطننا وبعث مفاخر أسلافنا، حتى يعود وطننا العزيز كما كان في الماضي مصدر خير وبركة، ومنار ثقافة وحضارة، ودعامة أمن وتوازن واستقرار.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بالقنيطرة

الاثنين 6 صفر 1382 — 9 يوليوز 1962